المقدمة

عندما أخذت أنشر مقالاتي في إحدى الصحف اليومية الكبرى في نقد الأدباء ، مظهراً فيها ناحية المغالاة عند الشباب وطابع أدباء الشيوخ في كتابة مقدمات الكتب ، كنت أرمي الى إقناع بعض الرفاق، أن ليس الاديب هو الكلماني فقط،وإن اطلاق اللسان في بحث كل الشئون ، وإبداء الرأي في كل أمر ، والتعرض تعرض العارف لكل مسألة ، والجول في ميادين كل جدل ، ليست مع التظرف والتنكيت أولى خصائص الأديب ، إنما الأديب هو الذي يدرك معاني الجمال في الحياة ويحاول إبراز هذه المعاني في الصورة الفنية التي يوفق إلى إبرازها بسيطة جميلة

كان ذلك مرماي وحده ، وكان لابد لي من إقناع الثرثارين بان الادب هو الايمان بعظمة الحياة والشعور بالوجود الانساني والانطلاق الروحي وأن التلهي في بحوث الادب إنما هو إحدى ضروب العبث الكلامي الذي يزيد علة تأخرنا الاجتماعي والادبي والسياسي تأصلا ورسوخاً

***

أطلق لي رئيس تحرير تلك الصحيفة الرصينة ، عنان القول في

أدباء الشباب ، ولم يصدني إلا عن شاعر بكتريولوجي كان قد خدمه بالمجان ، وعن زميل له قال فيه « إنه حديث العهد في الصحافة »

لم يثن تصديه هذا عزيمتي ولكنه أوجع نفسي ، وكان مما يزيد في وجعي ، أوجاع كثيرة يحتملها أدباء شباب متحفزون للانطلاق في أجواء الحرية ، فيهيض أصحاب الصحف او المشرفون على تحريرها أجنحتهم ، فيصبر هؤلاء عليها صاغرين ولا يتمردون

جاء دور نقد أعمال أدباء الشيوخ ، فكانت محاورات ومناورات ، وكان اتفاق بين رئيس تحرير تلك الجريدة وبيني على أن الحرية لا تميز بين شيخ وشاب ، وان الناقد النزيه لا يحابي هذا ولا يداجي ذاك

خطوت الخطوة الاولى في نقد أعمال الدكتور طه حسين ، ولما حاولت إتباعها بالثانية . لقيت العراقيل قائمة ، والشراك منصوبة ، والدسائس محاكة ، واذا بالحاجز المنيع قائم بين الجريدة وبيني ، وقد فاز الدساسون بالحيلولة بيني وبين القراء

لست أجد في شرح الحادث وتفصيل وقائعه ما يفيد القراء ، لانهم يعرفون أن أكثر أصحاب الصحف اليومية لا يمتون الى الادب الصحيح بصلة ، وأنهم ايضاً مارضوا بتخصيص صحيفة للبحوث الادبية الا مدفوعين بعامل تجاري بحت ، وان الادب اقتحم حقول السياسة اقتحاماً

نعم ليس ثمة فائدة من شرح وقائع الحادث الذي حال بيني وبين القراء ، خصوصاً القراء الذين قالوا لي اني كنت ارغمهم على تلاوة الصحيفة (. . . .) الا أن ذلك لا يصدني عن القول بان «الضعفاء» من كبار الكتاب ، وان «المستقويات» من الكاتبات الضعيفات(؟؟) وان الحشرات الهزيلة والطفيليات الدنيئة التي تعيش على جذور الصحافة ، وان الذين ألفوا الهيمنة على السياسة ويحاولون الهيلمة على الادب ، انهم لاشك زائلون ، وان العاصفة التي عصفت بمصر سوف تكتسح هذه الطغمة التي قامت في الاصل على الغرض الفردي لا الجماعي ، ونهضت في غفلة الزمن ولم يطوها الفناء بعد ، لاننا ما زلنا نعاني عصر انتقال صعب

لست اجد مايمنعني عن القول بان اكثر ادباء الشيوخ الذين حاكوا لذاتهم هالات من المجد ، واسدلوا غلالات من العظمة المفتعلة حولهم ، انما مجدهم وعظمتهم قائمان على المين والتزييف ، وانهم وصغار ادباء الشباب سواء في بناء الشهرة على الاوهام والخيالات

أعرف ما قاله نيتشه في المرأة « ان صناعتها التزييف وهمها الاكبر الظهور والجمال » ولكني لا اعرف رجلا يحمل رسالة في الادب وحرية الفكر ، يصطنع صناعة المرأة في التزييف ، ويهتم همها الاكبر في الظهور ، لا أعرف رجلا كهذا لا ينطبق عليه قول

أستاذي عباس محمود العقاد بان « لا فائدة في علم سام لا تستخدمه نفس سامية »

ليحافظ الشيوخ الضعفاء على ثوب الاسد الذي ارتدوه ولم يفتضح أمرهم بعد ، ولينعموا بالاضاليل والدسائس برهة نرجو أن لا يطول أمدها ، ولكننا لا نرضى أن يتوسل هؤلاء الادباء بما يتوسل به حنظلة القانون حين يخرجون منه ما يبرر قيامهم عليه وخرقهم نصوصه

لينعم هؤلاء الادباء الضعفاء بضعفهم الظالم الجائر ، ولينعم المهيمنون على الصحافة بموازرة الظالمين من ضعاف الادب ، وليعلموا أن الظلم الجائر يثير النفس وينبه النخوة العصبية ، وأن لا فرق بين ظلم الطاغية الذي يحل بالجسوم والجيوب ، وبين ظلم الاديب الذي ينزل على المشاعر والاحاسيس ، وليعلموا أخيرا أن الثورة على ظلم الادباء ستكون أمضى وأفعل من الثورة على ظلم الطاغية

هوذا الباعث الثاني الذي بعثني على نقض أكثر الفصول التي كنت نشرتها في تلك الجريدة وإعادة بنائها بناء آخر يوافق الانطلاق الحر في النقد النزيه الصارم الذي يجده القارىء في فصول هذا الكتاب .

ولعل باعثاً ثالثاً يستصرخني من أعماق نفسي ، ولعلي أجد قوة حافزة دافقة أهيب بها دعوة الى الشباب الذين تحرروا من

قيود الاحترام الباطل للشيوخ ، وانعتقوا من ذل الخضوع للمتقدمين ، وتساموا على بلوغ غايتهم الخاصة ، وأدمجوا منافعهم في المنافع العامة ، وصهروا وجودهم الذاتي في الجماعات ، لعلي أهيب بهؤلاء الادباء المجددين أن يقتحموا اكواخ اولئك الادباء الشيوخ الفاترين ، فيضرموا ناراً من نقد أدبي مهذب يبرهن على اكتمال جوانب العقل ، ويقظة الذوق في النفس ، والنفور من الرياء والمرائين

ولعلي أقيم البناء واشيد الصرح على الاسس الوطيدة التي وضعها استاذي عباس محمود العقاد في « الديوان » والاديب الفاضل ميخائيل نعيمة في «الغربال» فأصل بكتابي هذا الى مثل ما وصلا اليه من افادة القارىء ، وتحرير ذهنه